السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٣٣)

طَلَعَ البَدْرُ عَلَيْنَا

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

اللهُ أَكْبَرُ... جَاءَ رَسُوْلُ اللهِ

وَكَانَ أَهْلُ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ يَنْتَظِرُوْنَ وُصُولَ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَلَىٰ أَحَرِّ مِنَ الجَمْرِ!

ذَلِكَ لأَنَّ بَعْضَهُم قَدْ أَسْلَمَ ، واتَّبَعَ النَّبِيَّ دُوْنَ أَنْ يَرَاهُ ، وَيَعْرِفَهُ! وَكَانُوا يَخْرُجُونَ إلى خَارِجِ المَدِيْنَةِ ، وَتَصْعَدُ الرِّجَالُ والنِّسَاءُ فَوْقَ البُيُوتِ ، وَيَتَفَرَّقُ العَبِيْدُ ، والخَدَمُ ، والغِلْمَانُ في الطُّرُقِ ، وَكَانُوا يُنَادُوْنَ فِي الأَسْوَاقِ : يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُوْلَ اللهِ ! يَا مُحَمَّدُ يَا رَسُوْلَ الله!

وَكَانُوا يُرَدِّدُونَ : جَاءَ مُحَمَّدٌ ، جَاءَ

رَسُــولُ اللهِ! اللهُ أَكْبَــرُ جَــاءَ مُحَمَّــدٌ! جَــاءَ رَسُولُ اللهِ...!

وَعِنْدَمَا رَآهُ المُسْلِمُونَ وَقَد وَصَلَ إلى مَشَارِفِ مَدِيْنَتِهِمْ ، فَرِحُوا فَرَحَاً لا مَثِيْلَ لَهُ ، وَرَاحوا يُنْشِدُونَ :

طَلَــــعَ البَبــــدْرُ عَلَيْنَــــا

مِــــنْ ثَنِيَّــــاتِ الــــوَدَاعْ

وَجَــــبَ الشُّكْــــرُ عَلَيْنَــــا

مَــــــا دَعَــــــا للهِ دَاعْ

أَيُّهَــــا المَبْعُــــوثُ فِيْنَــــا

جِئْــــتَ بِــــالأَمْــــرِ المُطَــــاعْ

جِئْــــتَ شَــــرَّفْــــتَ المَــــدِيْنَــــة

مَــــرْحَبَــــاً يَــــا خَيْــــرَ دَاعْ

قَـــدْ لَبِسْنَـــا ثَـــوْبَ عِـــزٍّ

بَعْـــدَ تَمْـــزِيْـــقِ الـــرِّقَـــاعْ

وَمَـا زَالَ هَـذَا النَّشِيـدُ الـرَّائـعُ يُـرَدَّدُ بَيْـنَ المُسْلِمِيْنَ كلَّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ ، وَيَحْفَظُهُ الصِّغَارُ ، وَالْكِبَارُ ، وَالذُّكورُ ، والإِنَاثُ ، وَذَلِكَ لأَنَّه يُذَكِّرُهُمْ بِالفَرْحَةِ الكُبْرَى ، وَهِيَ قُدُومُ رَسُولِ الله ﷺ إلى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ .

وَكَيْـفَ لا يَكُـونُ ذَلِـكَ ، وَقَـدْ رَوىٰ أَنَـسٌ ـ رَضِيَ الله عنهُ ـ قَالَ : لمَّا كَانَ اليَوْمُ الَّذي دَخَلَ فِيْهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ المَدِيْنَةَ . أَضَاءَ مِنَ المَدِيْنَةِ كُلُّ شَيْءٍ .

* * *

يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَار!

وَكَانَتْ بَعْضُ جَوارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَضْرِبْنَ بِالدُّفُوْفِ وَهُنَّ يَقُلْنَ :

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّار

يَـا حَبَّـذَا مُحَمَّـدٌ مِـنْ جَـارِ!

فَنَظَـرَ إِلَيْهِـنَّ رَسُـولُ الله ﷺ وَقَـالَ : « أَتُحْبِبْنَنِي ؟ » . فَقَالوا : إِيْ وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ!

قَالَ : « أَنَا وَالله أُحبُّكم! وَأَنَا وَاللهِ أُحِبُّكُمْ ! وأَنَا وَالله أُحِبُّكُمْ! » .

.. وَكَانَ الرَّسُولُ ﷺ يَنْظُر إلى الأَنْصَارِ وَهُمْ يُعَبِّرون عَنْ فَرَحِهِم الشَّدِيْدِ بِوُصُولِهِ إِلَيْهِمْ .

فَيَبْتَسِمُ ابْتِسَامَةً تَدُلُّ عَلَىٰ فَرَحِهِ بِذَلِكَ ، يَشْكُرُهُمْ عَلَىٰ مَعْرُوفِهِمْ ، وَحُسْنِ اسْتِقْبَالِهِمْ ، وَضيافتِهِمْ...

وَهَذَا مَا جَاءَ وَاضِحاً في القُرْآن الكَرِيْم ، حَيْثُ امْتَدَحَ اللهُ تَعَالىٰ الأَنْصَارَ ، وَقَرَّرَ البَيَانُ الإِلٰهِيُّ : أَنَّ اللهَ راضٍ عَنْهُمْ ، مِصْدَاقُ ذَلكَ قَوْلُه تَعَالَىٰ :

﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

وقال تعالى أيضاً : ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ

---

(١) سورة التوبة : ١١٧ .

عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴾[1].

* * *

(١) سورة التوبة : ١٠٠ .

الخُطْبَةُ النَّبَوِيَّةُ الأُولىٰ بِالْمَدِيْنَةِ

وَأَلْقَىٰ رَسُوْلُ اللهِ بِالمُسلِمِيْنَ خُطْبَةَ الجُمُعَةِ ، وَكَانَتْ أَوَّلَ خُطْبَةٍ بِالْمَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، جَاءَ فِيْهَا :

« إِنَّ الْحَمْدَ للهِ أَحْمَدُهُ وأَسْتَعِينُهُ ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا ، وَسيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا ، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللهُ وَحْدَه لا شَرِيْكَ لَهُ ، إِنَّ أَحْسَنَ الحَدِيْثِ كِتَابُ اللهِ ، تَبَارَكَ وَتَعَالىٰ ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَيَّنهُ اللهُ في قَلْبِهِ ، وَأَدْخَلَهُ في الإِسْلامِ بَعْدَ الكُفْرِ ، وَاخْتَارَهُ عَلىٰ مَا سِوَاهُ مِنْ أَحَادِيْثِ النَّاسِ ، إِنَّهُ أَحْسَنُ الحَدِيْثِ ، وَأَبْلَغُهُ ، أَحِبُّوا مَا

أَحَبَّ اللهُ ، أَحِبُّوا الله مِنْ كلِّ قُلُوبِكُمْ ، وَلا تَمَلُّوا كَلامَ الله ، وَذِكْرَهُ ، وَلا تَقْسُ عَنْهُ قُلُوبُكُمْ ، فَإِنَّهُ مِنْ كُلِّ مَا يَخلُقُ اللهُ يُخْتَارُ ، وَيُصْطَفَىٰ . وَمِنْ كُلِّ مَا أُوتِيَ النَّاسُ مِنَ الحَلالِ وَالحَرَامِ ، فَاعْبُدوا اللهَ وَلا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً ، وَاتَّقُوهُ حَقَّ تُقَاتِهِ ، واصْدُقوا الله صَالِحَ مَا تَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكِمْ ، وتَحَابُّوا بِرُوحِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَغْضَبُ أَنْ يُنْكَثَ عَهْدُه ، والسَّلامُ عَلَيْكُمْ » .

* * *

يَا لَيْتَكَ تَنْزِلُ عِنْدَنَا..!!

وَلَوْ عَلِمْتُمْ يَا أَحِبَّتي البَراعِمَ كَيْفَ كَانَ حَالُ الأَنْصَارِ حِيْنَمَا رَأَوْا رَسُوْلَ اللهِ صَلَوَاتُ الله وَسَلامُهُ عَلَيْهِ قَدْ حَلَّ ضَيْفاً عَلَيْهِمْ ؟

الكُلُّ يَرْجُوْهُ أَنْ يَنْزِلَ عَلَيْهِ ، فَهَذَا يَقُولُ : يَا رَسُولَ الله ! كلُّ دَارٍ لَنَا هِيَ لَكَ ، فَهَلُمَّ إلىٰ القُوَّةِ..! هَلُمَّ إلىٰ المَنَعَةِ..!

وَهَؤُلاءِ أَخْوالُ أَبِيْهِ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَرْغَبُونَ أَنْ يَنْزِلَ عِنْدَهُمْ...

وَالرَّسُولُ ﷺ كَانَ يُشِيْرُ عَلَيْهِمْ في أَنِ اتْرُكُوا النَّاقَةَ القَصْوَاء ، وَلا تَأْخُذُوا بِلِجَامِهَا ، وَلا

تَعْتَرِضُوْهَا : فَقَالُوا : وَلِمَ يَارَسُولَ اللهِ ؟

قَالَ : « خَلُّوا سَبِيْلَها ، فَإِنَّها مَأْمُوْرَةٌ » .

وَقَدْ يَسْأَلُ أَحَدُكُمْ يَا أَحِبَّتِي! وَكَيْفَ تَكُونُ النَّاقَةُ القَصْوَاءُ مَأْمُورةً ، وَهي مِنَ الحَيَوَانَاتِ ؟

والجَوَابُ : أَنَّ النَّاقَةَ جُنْدِيٌّ مِنْ جُنُودِ الخَالِقِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى ، مِصْدَاقُ ذَلِكَ قَوْلُه تَعَالىٰ : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ﴾ (١) .

لِذَلِكَ بَقِيَتِ النَّاقَةُ تَسِيْرُ في أَزِقَّةِ المَدِيْنَةِ ، إلى أَنْ وَصَلَتْ إلى أَمَامِ بَيْتِ صَحَابِيٍّ مِنْ فُقَراءِ الصَّحابَةِ ، هُوَ أَبُو أَيُّوبٍ الأَنْصارِيُّ رَضِيَ الله عَنْهُ ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللهِ ، وَدَخَل بَيْتَ أَبِي أَيُّوبٍ ، لِيَكُوْنَ أَبُو أَيُّوبٍ هُوَ المُسْتَقبِلَ الأَوَّلَ

(١) سورة المدثر : ٣١ .

لِرسُولِ اللهِ ﷺ .

وَبَقِيَ الرَّسُولُ في دَارِ أَبِي أَيُّوبٍ مُدَّةً تُقَارِبُ السَّنَةَ ، حَيْثُ فُرِّغَتْ لَهُ غُرْفَةٌ مِنْ غُرَفِها ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَ الرَّسُولَ وَيُسَلِّمُونَ عَلَيْهِ .

وَكَانَتْ دَارُ أَبي أَيُّوبٍ بِمَثَابَةِ مَكَانِ اسْتِقْبَالِ الوُفُودِ ، وَعَقْدِ الرَّايَاتِ ، وَمَحْكَمةِ القَضَاء ، ومَكَانِ الصُّلْحِ ، والمُشَاوَرَاتِ...

حتَّىٰ إِذَا مَا تَمَّ بِنَاءُ المَسْجِدِ النَّبَوِيِّ ، وَأُلْحِقَ بِهِ بَعْض حُجُرَاتٍ زوجات النَّبيِّ ﷺ ، عِنْدَئِذٍ تَرَكَ الرَّسُولُ بَيْتَ أَبي أَيُّوبٍ وَاسْتَقَرَّ قُرْبَ المَسْجِدِ..

* * *

فَمَاذَا إِنْ مَاتَ المُهاجِرُ عَلَىٰ الطَّرِيْقِ ؟

وَاكْتَمَلَتِ الفَرْحَةُ بِوُصُولِ غَالِبيَّةِ المُسْلِمِيْنَ إِلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، لَكِنَّ وَاحِداً مِنْهم وَهُوَ ضَمرَةُ بْنُ جُنْدبٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُ ـ مَاتَ في طَرِيْقِ الهِجْرَةِ ، وَتَسَاءَلَ النَّاسُ : هَلْ يُعتَبَرُ مِنَ المُهاجِرِيْنَ ، أَمْ لا ؟

قَالَ ابْنُ عَبَاسٍ ـ رَضِيَ الله عَنْهُمَا ـ : خَرَجَ ضَمْرَةُ بْنُ جُنْدُبٍ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِراً ، فَقَالَ لأَهْلِهِ : احْمِلُونِي ، فَأخْرِجُوني مِنْ أَرْض المُشْرِكِيْن إِلىٰ رَسُوْلِ الله ﷺ ، فَمَاتَ في الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصل إِلى النَّبِيِّ ﷺ .

فَأَنْزَلَ الله تَعَالىٰ قَوْلَه : ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ (١) .

وآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ

* * *

(١) سورة النساء : ١٠٠ .